على باشـــــا مبارك

١٨٢٤ — ١٨٩٣

زعيم نهضة العلم والتعليم فى عصر اسماعيل

بقلم الأستاذ الجليل : عبد الرحمن بك الرافعى

فى تاريخنا القومى شخصيات بارزة تعد أركانا للنهضة المصرية ، لما لها من الأثر البالغ فى تطورها والتطلع بها إلى المثل العليا فى شتى مظاهرها من الناحية الأخلاقية والوطنية ، أو العلمية والأدبية ، أو الاقتصادية والاجتماعية.

ومن واجب الوفاء لهذه الشخصيات أن نذكرها بالخير ، ونخصص لها ما هى جديرة به من البحث والدرس ؛ ولا غرو فالشخصيات المجيدة فى تاريخ مصر هى كالكواكب النيرة فى سماء النهضة القومية .

وإنا موفون اليوم بعض هذا الواجب نحو علم من أعلام مصر ، المرحوم على مبارك باشا، زعيم نهضة العلم والتعليم فى عصر اسماعيل ، فهو عماد هذه النهضة ، وقلبها النابض ، ورأسها المدبر ؛ وهو من الشخصيات الفذة التى سطعت سطوعا قويا فى عهد إسماعيل ؛ ويعد تاريخه قطعة من هذا العصر ، والعصور التى تلته ، إلى عصرنا الحاضر ، وإلى ماشاءالله .

نشأته الاولى (١)

ولد المترجم فى برنبال الجديدة من أعمال مركز دكرنس بمديرية الدقهلية سنة ١٨٢٤ م (سنة ١٢٣٩ هـ) وأبوه الشيخ مبارك بن مبارك بن سليمان بن ابراهيم الروجى من أهالى هذه الناحية ، وجده الأعلى من ناحية كوم بنى مراس والخليج على بحر طناح من أعمال مركز المنصورة « ولفشل كبير حصل فى هذا البلد » تشتت عائلته ، فأقام جده الأكبر إبراهيم

---

(١) اعتمدنا فى بيان معظم (الوقائع) على ما استخلصناه من ترجمة على باشا مبارك لنفسه فى الخطط التوفيقية ج ٩ ص ٣٧

الروجى فى برنبال الجديدة ، ونال فيها مكانة عالية ، فكان هو إمامها وخطيبها وقاضيها ، وبقيت هذه المكانة فى نسله حتى عرفت عائلتهم بعائلة المشايخ .

ولاضطهاد وقع بأهل برنبال وإرهاقهم بالضرائب الثقيلة هاجرت عائلة مبارك، وتفرقت فى البلاد ، فنزل والد المترجم بقرية (الحماديين)من بلاد الشرقية (بمركز فاقوس الآن) ، وكان ابنه لم يبلغ بعد السادسة من عمره ، ولم تطب لهم الاقامة فى هـذه البلدة ، إذ لم يلقوا فيها إكراماً ، فارتحلوا منها إلى عرب السماعنة بالشرقية ، فأحسنوا وفادة والد المترجم ، وأكرموا مثواه ؛ ولم يكن فى بلدتهم فقهاء ، فجعلوه مرجعهم فى الأحكام الدينية ، وبنوا مسجداً جعلوه إمامه ، ولما بدأ يستريح من الشدائد التى عاناها قبل أن يهبط هذا البلد، أخذ يعنى بتهذيب ابنه وتعليمه ، وكان المترجم قبل رحيله من برنبال، قد بدأ بتعلم القراءة والكتابة على رجل ضرير من أهلها ، فلما استقر بأبيه المقام بين عرب السماعنة أخذ يعلمه بنفسه ، ثم أسلمه إلى فقيه اسمه الشيخ أحمد أبو خضر ، أصله من ناحية (الكردى) وهى بلدة قريبة من برنبال ، ثم ارتحل إلى قرية صغيرة على مقربة من مساكن أولئك العرب، وهناك حفظ المترجم القرآن فى سنتين على يد ذلك الفقيه .

وكان الشيخ يقسو فى معاملته ويضربه، كما هى عادة الفقهاء والمعلمين مع تلاميذهم فى ذلك العصر ، فامتنع عن متابعة الحفظ على يده ، وأبى أن يذهب إليه ، وجعل يقرأ عند أبيه ، لكن أباه كان لا يستطيع التفرغ لتعليمه لكثرة مشاغله وشواغله ،فتراخى المترجم فى الحفظ والدرس، وكاد ينسى ماحفظه ، فهم أبوه أن يجبره على الرجوع إلى الفقيه ، لكنه أبى أن يعود إليه ، وحدثته نفسه بالهرب لما كان يجده من سوء المعاملة ،فتدخل إخوته فى الأمر ، فأبدى لهم نفوره من الحفظ، وأعرض عن أن يكون « فقيها»،ورغب أن يكون « كاتباً » لما كان يراه على الكتاب من حسن الهيئة والقرب من الحكام .

وكان لأبيه صديق كاتب بناحية (الاخيوة) ، فأسلمه إليه ليتعلم الكتابة على يده ، فلازمه فى داره يتعلم عنه ، ولكنه رأى منه قسوة وغلظة، وناله منه أذى شديد ، إذ سأله يوماً عن الواحد فى الواحد ، فأجابه باثنين ، فضربه بمقلاة البن ، فشج رأسه ، وكان ذلك على ملأ من الناس ، فشكاه إلى أبيه ، فلم يحفل بشكايته ، فهرب وانتهى به المطاف إلى العودة وحيداً إلى برنبال ، وهناك وافاه أخوه الذى كان يبحث عنه ، فأعاده إلى أبيه، وقد حار فى معالجته وتعليمه، وأبدى المترجم نفوره من الرجوع إلى الكاتب أو الفقيه لما رأى منهما من الايذاء والضرب .

فارتأى أبوه أن يعهد به إلى صديق له من كتبة المساحين ، فرضى بذلك، ولازمه ثلاثة أشهر، ثم انفصل عنه وبقى فى بيت أبيه يقرأ عليه ، وبعد سنة جعله مساعداً لكاتب فى مأمورية أبى كبير برتب قدره خمسون قرشاً، ولكن الكاتب لم ينقده أجره ، إلى أن تسلم يوماً حاصل الجباية من

أبى كبير، فاستنقد منه راتبه المتأخر ، فنقم عليه الكاتب ، وأغرى به مأمور أبى كبير ، واتفق وإياه على تجنيده ، فاستدعاه المأمور ، واعتقله ، ووضع الغل فى عنقه ، ولبث فى السجن بضعة وعشرين يوماً، قاسى فيها مر الشدائد والآلام ؛ ولما علم أبوه بسجنه رفع ظلامته إلى محمد على باشا عزيز مصر ، وكان إذ ذاك فى منيا القمح ، فكتب باخلاء سبيله، وإطلاق سراحه ، وعاد أبوه بالأمر ليطلب من المأمور تنفيذه ، وقبل أن يحضر جاء السجن صديق للسجان وأفضى إليه أن مأمور زراعة القطن بناحية أبى كبير فى حاجة إلى كاتب ، فدله السجان على المترجم ، ووصفه له بالنجابة ، وحسن الخط ، وبعد قليل جاء أمر الافراج عنه،وذهب إلى مأمور الزراعة، وكان أسود حبشياً ، يدعى (عنبر أفندى) ، فاتخذه كاتباً عنده مقابل جراية يومية من الخبز، وخمسة وسبعين قرشاً فى الشهر ، فارتضى هذا العمل؛ وكانت سماحة أخلاق عنبر أفندى وطيبته مما رغبه فى البقاء فى هذه الوظيفة .

مايؤخذ من نشأته الأولى

إلى هنا ليس فى نشأة المترجم الأولى شىء مما يلفت النظر ، لكنها تصلح أن تكون صورة مصغرة للحياة الاجتماعية والتعليمية فى ذلك العصر .

فانتقال عائلة المترجم من بلد إلى بلد ، من كوم بنى مراس على بحر طناح ، إلى برنبال بأقصى الدقهلية شمالا ، ثم إلى السماعنة بالشرقية ،كان نتيجة سوء معاملة الحكام للأهلين فى ذلك العصر، وإرهاقهم بالضرائب الجائرة،مما اضطر تلك العائلة،وكثيراً مثلها،إلى الرحيل فراراً من المطاليب التى لم يستطيعوا أداءها،بعد أن تجردوا من ماشيتهم ومتاعهم ، وتشدد الحكام فى استخلاصها بالسجن والضرب ، فلم يجدوا مخلصاً من هذه المظالم،سوى الهجرة من بلدتهم ؛ وهذا يعطينا صورة من مظالم الحكام فى ذلك العهد ، إذ لم يكن ثمة قانون يمنع ظلم القوى للضعيف ، ويحول دون اعتداء الحاكم على المحكوم، ولا ضرائب منتظمة معلومة المقدار،يعرف كل إنسان حدود ما عليه منها ، بل كانت متروكة لأهواء الحكام والرؤساء ، فلا جرم أن استهدفت آل المترجم إلى التجرد من متاعهم وماشيتهم ، ثم إلى السجن والضرب ، ثم إلى الهجرة والتنقل من بلد إلى بلد فراراً من المظالم .

وهذه النشأة تعطينا من جهة أخرى صورة لما كانت عليه حالة التعليم قبل أن يألف الناس المدارس الحديثة ، فان فكرة تعليم الأبناء كانت موجودة عند الآباء الذين نالوا حظاً من العلم، يدلك على ذلك ميل والد المترجم إلى تعليم ابنه قدر ما يستطيع؛لكن طريقة التعليم كانت رديئة لاتثمر تنمية الفكر وتهذيب النفس ، ففقيه القرية، وكاتب الاخيوة، وأمثالها من الفقهاء والعرفاء، كانوا من الجهل والقسوة بحيث لاينتج التعليم على أيديهم سوى الجهالة، وبث روح الخوف والجبن فى أخلاق الشباب،لأن القسوة والضرب يقتلان فى نفس التلميذ روح الشجاعة والأخلاق الفاضلة

وليس فى نشأة المترجم الأولى حالة غير عادية تجعل منه رجلا يختلف عن معاصريه ، ولكن أمراً واحداً فى هذه الفترة يلفت النظر ، ذلك هو نفوره من الذل ، ومجافاته قسوة المعلم ، فقيهاً كان أم كاتباً ؛ أفلا تراه يؤثر الهجرة على احتمال القهر والضرب ؟ ألا تراه كأنما يتقدم عصره ويبذ معاصريه ، فيتطلع إلى أسلوب فى التعليم أرقى من الأسلوب العتيق الذى كان مألوفاً فى عصره ؟

إن هـذه ظاهرة تدل على أن نفس الفتى الصغير تأبى الذل ولا تقيم على الضيم ، وتلك ناحية تدل على سمو الخلق ، لأن إباء الذل يدل على نفس عزيزة ، وعزة النفس تجمع حولها سمطاً من الأخلاق الكريمة .

ولا مراء أن تلك النفس العزيزة كانت من أسباب نبوغ المترجم ، فلو هو رضى بالذل والهوان ، لاستمر فى طريقه ، ولم يتجاوز أن يصير كاتباً بسيطاً مرءوساً لمثل عنبر افندى ؛ ولكن انظر إلى ماحدثته به نفسه — وهو يشغل هذه الوظيفة — تجد نفساً متوثبة كانت تختلج بين جوانح المترجم .

فقد روى عن نفسه أنه لما اشتغل كاتباً لعنبر افندى رأى منه رأفة وشفقة وحسن معاملة تختلف عما لقيه من كاتب أبى كبير ؛ لكنه شعر بأن لو كان عنبر افندى على غرار ذلك الكاتب ، لما وجد من ينقذه من قسوته وسوء معاملته ، ومن ثم اتجهت نفسه الى أن يكون « بحالة لا ذل فيها ولا تخشى غوائلها » كما يقول المترجم .

فهذا الشعور هو فيض النفس العزيزة التى تأبى الذل ، وتطمح الى المعالى ، وهو شعور كريم كان له أثره فى حياة على مبارك .

وإن سمو هذا الشعور ليدعونا فى إعجاب أن نتساءل : من أين اقتبسه ؟ وكيف اختص به دون أقرانه فى القرية ؟ إن هذا هو سر نبوغ العظماء ، لا تجد له تعليلا دقيقاً ، فاذا عللته بتأثير البيئة أو الوراثة اعترضك فى هذا أن النابغة قد ينشأ وغيره من الناس فى بيئة واحدة ، ومن أب واحد ، وأم واحدة ، ومع ذلك ينفرد بالنبوغ دون أقرانه وإخوته .

قد يكون السر فى النبوغ هو الاستعداد الفطرى للنبوغ ، يولد مع صاحبه ، أو هو الالهام الذى يودعه الله نفس النابغة ، أو هو التوفيق والعناية الالهية ، لك أن تفسره بمعنى من هذه المعانى ، أو بها كلها مجتمعة ؛ ولكن علينا أن نحسب حساباً لتأثير الوسط والوراثة ، فلا شك أن على مبارك قد اقتبس شيئاً من أخلاق أبيه ، فقد كان جده الأكبر رجلا « مكرماً معظماً » نزل ببلدة برنبال ، ولم يكن من أهلها ، فصار إمامها وخطيبها وقاضيها ، وبعد وفاته بقيت هذه الوظيفة فى نسله طبقة بعد طبقة ، فلو لم يكونوا على أخلاق فاضلة ، ونفوس طيبة ، لما احتفظوا بهذه المنزلة ، حتى صارت عائلتهم تعرف بعائلة المشايخ .

وكذلك لما هجر أبو المترجم ناحية برنبال ، ونزل بقرية الساعنة ، احتفظ بعزة النفس ، ونال من أهل تلك القرية مكانة ممتازة ، أدركها بعلمه وفضله ؛ وإنك لتلمح عزة نفسه من كونه لم

يطق صبراً على اعتقال ابنه ، وذهب إلى منيا القمح،حيث كان عزيز مصر (محمد على باشا) ، ورفع إليه ظلامته ، وشكا إليه ما حاق بابنه من السجن ، فالشكوى من الظلم ، والاستصراخ إلى ولى الأمر من الأمور التى تحتاج (فى ذلك العصر) إلى شىء من الجرأة والشجاعة ؛ فكم من المظالم كانت ترتكب ويستسلم لها المظلومون ، وإذا حدثتهم أنفسهم بالشكوى منها، فقلما تحفزهم الشجاعة إلى إبلاغها لأكبر رأس فى الحكومة .

فأغلب الظن أن المترجم قد اقتبس من أبيه تلك النفس العزيزة ؛ وهذا فضل يجب أن نسجله لوالد المترجم ، الشيخ مبارك بن مبارك بن سليمان بن ابراهيم الروجى .

نشأته الثانية فى المدارس النظامية

إن طموح نفس المترجم إلى المعالى هو الذى سلك به سبيل المدارس النظامية ، ذلك أنه حينما اشتغل كاتباً عند عنبر افندى أخذ يسأل فراش المأمور عن أخبار سيده ، وأسباب بلوغه هذا المركز الممتاز فى الحكومة ، وكان يدهشه أن عنبر افندى،وهو أسود حبشى،يصل إلى هذا المنصب ، حين كان يعتقد « أن الحكام لا يكونون إلا من الأتراك على حسب ماجرت به العادة فى تلك الأزمان » فعلم من الفراش عن سبب ارتقائه أنه كان مشترى سيدة من ذوات المكانة والجاه ، فأدخلته مدرسة قصر العينى ، إحدى المدارس النظامية التى أنشأها محمد على باشا ، فتعلم فيها وتخرج منها،وصار أهلا للمركز الذى يشغله،وعلم أن الحكام يؤخذون من خريجى هذه المدارس .

فلما استمع المترجم لهذا الحديث، مالت نفسه إلى دخول تلك المدارس،ليصل إلى ما وصل إليه عنبر افندى ، وأخذ من تلقاء نفسه يسأل عن السبيل إلى دخول المدارس النظامية ، وسأل الفراش: هل يدخلها أحد من « الفلاحين » ؟ فقال يدخلها «صاحب الواسطة» ، فتعلقت نفسه بالسعى لدخولها ، واعتزم ترك العمل الذى كان يشتغل به، والذهاب إلى مصر ليلتحق بمدرسة قصر العينى .

دخوله مدرسة ميت العز

وما هو آن خالجه هذا العزم حتى صمم على إنفاذه،دون أن يكاشف أحداً ، فطلب الاذن من رئيسه بأجازة يقضيها فى زيارة أهله ، فأذن له بخمسة عشر يوماً، وسافر إلى وجهته.

وفيم هو يسير فى طريقه مر بقرية (بنى عياض (١)) والتقى بجماعة من الأطفال يتبعون رجلا خياطاً ، وكل منهم يحمل دواة وقلماً ، فاجتمع بهم تحت شجرة ، وتعرف حالتهم ، فاذا هم تلاميذ مكتب ميت العز،أحد المكاتب التى أسسها محمد على باشا، وكان ذلك فألا حسناً للمترجم،

(١) بمركز ههيا الآن ، قبلى ابى كبير بشرق .

كما يقول عن نفسه ، إذ أنه حين اجتمع بالأطفال ورأى الخياط خطه أجود من خطوطهم، رغب إليه أن يدخل مكتب ميت العز ، وأفهمه أن نجباء المكاتب ينتقلون إلى المدارس بلا واسطة ، فابتهج المترجم لهذه الفكرة ، إذ وجد فيها بغيته التى ينشدها ، ولم يكن أحب إلى نفسه من أن يسلك سبيل الدخول إلى المدارس،ويجتاز تلك العقبة التى أشار إليها فراش المأمور فى حديثه له وهى « الواسطة » لدخول المدارس ، ورأى أن الاجتهاد فى المكتب سيغنيه عن تلك الواسطة التى قد لا يجدها .

دخل المترجم مكتب ميت العز، وناظره من معارف أبيه ، وكان يعلم أن دخول ابنه المكتب لا يرضيه ، فأراد أن يصرفه عن دخوله ؛ ولكنه رأى منه إصرارا على الالتحاق به ، فبقى بالمكتب خمسة عشر يوماً، وأرسل الناظر إلى أبيه ، فجاء يسعى فى إرجاعه عن عزمه فأبى ، فلجأ إلى حيلة ينتزعه بها من المدرسة ، فاتفق مع الناظر على أن ينتهز الفرصة فى خروج ابنه إلى الفسحة وقت الظهر، فاختطفه وعاد به قسراً إلى بلده ، وحبسه فى البيت عشرة أيام ، وأخذت أمه تبكى وتستعطفه ليرجع عن عزمه ، كى يبقى بينهم ولا يفارقهم،فوعدها بالبقاء، ولكنه أسر فى نفسه أن يغتنم أقرب فرصة لفراق أهله وذويه، ويرحل فى طلب العلم ، وانتظر حتى اطمأنوا إلى عدوله عن فكرته ؛ ولما كانت إحدى الليالى تربص حتى ناموا جميعاً ، وأخذ دواته وأدواته ، وخرج من البيت خائفاً يترقب ، وتوجه تلقاء ميت العز، وكان ذلك كما يقول المترجم، آخر عهده بسكناه بين أبويه، وكانت ليلة مقمرة ، فمشى حتى بلغ ميت العز ضحى الغد ولم يشعر الناظر بمجيئه إلا وهو داخل المكتب مع زملائه التلاميذ، وكأنما خشى أن يجىء أبوه ويحتال على اختطافه ثانية ، فلزم المكتب لا يخرج منه ليلا ولا نهاراً ، وجاء أبوه غير مرة ليقنعه بالعدول عن عزمه ، وليأخذه بالحسنى ، فلم ينجح مسعاه ، واستمر الغلام ملازماً المكتب مكبا على الدرس والتحصيل .

انتقاله إلى مدرسة قصر العينى

بقى المترجم فى مكتب ميت العز إلى أن جاء ناظر مدرسة الخانكة (عصمت افندى) لاختيار نجباء التلاميذ من المكتب المذكور ليلتحقوا بمدرسة قصر العينى ، فكان التلميذ على مبارك ممن وقع عليهم الاختيار ، فجاء أبوه يحاول من جديد صرفه عن الذهاب إلى المدرسة ، وشكا أمره إلى عصمت افندى ، فأحاله على ابنه ، وقال إن الخيار له ، فخيروه بين العودة وأبيه أو الالتحاق بالمدارس ، فاختار المدارس ، فبكى والده بكاء كثيراً ، وأغرى به جماعة من المعلمين ليستميلوه ، فلم يصغ لهم،ودخل مدرسة قصر العينى سنة ١٨٣٦،وكان لا يتجاوز يومئذ الثانية عشرة من عمره.

وهنا تبدو ظاهرة جديدة فى شخصية المترجم ، إلى جانب ماذكرناه عن عزة نفسه،وطموحه

إلى المعالى ، وهى ميله الفطرى الى العلم ، وشغفه بالارتواء من منهله العذب ، وما فطر عليه من قوة الارادة ، ومضاء العزيمة .

فانظر إلى مبلغ حبه للعلم والتعلم ، تجده يسعى جهده للالتحاق بالمدارس ، رغم إرادة والديه ، وليس من المألوف بين الأطفال والشبان أن يقبلوا على العلم بوازع من أنفسهم ، بل آباؤهم هم الذين يدفعونهم إلى دخول المدارس ، ويرغبونهم بمختلف الوسائل فى متابعة الدروس ؛ وكثيراً مايتعب الآباء فى ترغيب أبنائهم إيلاف المدرسة والأقبال عليها .

فالغلام الذى يتعلق بدخول المدارس رغم إرادة أبويه ، ويستهدف لغضبهما فى هذا السبيل ، لا بد أن يكون قد ركب فى نفسه شغف شديد بالعلم والتعليم .

وتتجلى أيضاً قوة عزيمة المترجم فى تصميمه دخول المدارس ، رغم تلك العقبات التى اعترضته ، فمن إغضاب والديه ، إلى بعد الشقة ، ووعورة الطريق ، إلى قلة ذات يده ، إلى صغر سنه ، إلى المغامرة بنفسه فى حياة يجهلها ولا يعرف مصيرها ؛ كل ذلك يدل على حظ عظيم من صدق العزيمة وقوة الارادة .

فعزة النفس ، والطموح إلى المعالى ، وحب العلم ، وقوة الارادة ، هذه هى الصفات التى تطالعنا بها شخصية على مبارك ، وهو بعد فى سن الطفولة والمراهقة .

وسنرى كيف لازمته هذه الصفات فى كل أدوار حياته ، فكان لها ذلك الأثر العظيم فى أعماله .

التعليم فى مدرسة قصر العينى

لم تكن مدرسة الطب قد نقلت بعد إلى قصر العينى حينما جاء مصر على مبارك ، بل كانت لم تزل بأبى زعبل ، أما المدرسة التى كانت بقصر العينى وقتئذ (سنة ١٨٣٦) فهى مدرسة إعدادية للمدارس الحربية والعالية .

وصف المترجم التعليم فى تلك المدرسة ، ويؤخذ من وصفه أنه لم يكن على درجة حسنة من التقدم ، لا من جهة مستوى التعليم فى ذاته ، ولا من جهة معاملة التلاميذ ، فقد ذكر أنه وجد المدارس على خلاف ما كان يظن ، وأن مدرسيها ورؤساءها كانوا لا يحسنون فهم وظائفهم ، ولا يعنون بالتلاميذ ، وكان التعليم العسكرى موضع العناية فيها ، فيتمرن الطلبة على الحركات الحربية فى معظم الأوقات : فى الصباح ، والظهر ، وبعد الأكل ، وفى أماكن النوم ، والضرب وأنواع الايذاء من الأمور المألوفة فى التعليم ، وكذلك قلة العناية بمأكل التلاميذ ومسكنهم ، فكانت مفروشاتهم حصر الحلفاء ، وأحرمة الصوف الغليظ من صنع معمل بولاق ، ولم يكن الأكل الجارى للتلاميذ سائغاً فكان على مبارك يستعيض عنه بالجبن والزيتون .

وقد اعتراه فى المدرسة مرض ، لما اجتمع عليه من الأفكار والهموم وتغيير الطقس ، فنقل إلى مستشفى المدرسة ، ولقى فى مرضه الشدائد والآلام ، ولحقه الجوع بالمستشفى ؛ وفيم كان

على فراش المرض، جاء أبوه إلى قصر العينى ، واتصل به بواسطة أحد المرضين ، ورغب إليه أن يعود معه إلى بلده ، فالت نفسه لاجابته ، وهم بترك المدارس لما لقيه فيها من التعب والنصب ، ولعدم وجدانه التعليم الذى ينشده ؛ ولكنه خشى عواقب الهرب من المدرسة، إذ كانت الحكومة تتعقب الهاربين من التلاميذ وتعتقل أهليهم ، وتسىء معاملتهم ، فخشى أن ينال أباه من عنت الحكومة مالا يرضاه له ، فامتنع عن الهرب ، فعاود أبوه الكرة يستميله، ويهون عليه الأمر ، فأبى واعتزم « الصبر على قضاء الله » ، ولما شفى انتقل من المستشفى إلى المدرسة واستأنف الدرس ولم يصب بمرض بعد ذلك أثناء دراسته.

انتقاله إلى مدرسة أبى زعبل

ولما نقلت مدرسة الطب إلى قصر العينى سنة ١٨٣٧ تحول تلاميذ مدرسة القصر إلى أبى زعبل ، فانتقل إليها المترجم كسائر تلاميذ المدرسة .

وقد شعر بتقدم مستوى التعليم فى مدرسة أبى زعبل ؛ وينسب المترجم هذا التقدم إلى كفاءة ناظر المدرسة ، المرحوم ابراهيم بك رأفت ، وحسن عنايته بتعليم النشء ؛ ومما ذكره فى هذا الصدد أنه فى بداءة عهده كان يجد صعوبة كبيرة فى تفهم فنون الهندسة والحساب والنحو ، وكان يراها كالطلاسم ، ويرى كلام المدرسين فيها كالسحر ؛ ولكن إبراهيم بك رأفت أوضح للتلاميذ معانى الهندسة وقواعدها بأسلوب سهل تقبله عقولهم ، فانفتح لحسن بيانه ذهن المترجم ، وبدأ يعى مايسمع من الدروس .

ولفت نجاح التلميذ على مبارك نظر رأفت بك ؛ فصار يضرب به المثل، ويتخذ نجاحه على يديه دليلا على تأثير أسلوب المدرس فى تنقيف أذهان التلاميذ .

وفى سنة ١٨٣٩ اختار ولاة الأمور نجباء مدرسة أبى زعبل؛ لألحاقهم بمدرسة المهندسخانة ببولاق ، فكان على مبارك ضمن هؤلاء .

(يتبع) عبد الرحمن الرافعى

فى الجزء المقبل

يتناول الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى بك ،الكلام على: دخول على مبارك مدرسة المهندسخانة ، وانتظامه فى سلك البعثات ، ثم التحاقه بمدرسة متر الحربية ، فعمله فى عهد عباس، ثم تعيينه مدرساً فى مدرسة طره الحربية، والتحاقه بمعية عباس باشا، ونظارته للمهندسخانة.